المستـوى : الأولى ماستر.
التخصص : لسانيات تطبيقية.
الفوجـــان : 06-07.
المقيـــاس : نظرية الحقول الدلالية.
الأستـــاذ : عـــادل بلخيري

محاضرة

من مجالات البحث الدلالي في التراث العربي

أولا - النحو العربي :

- ✓ مهمة النحو كانت الإفصاح عن الدلالة .
- ✓ الوظائف النحوية التي توزع على الكلمات داخل الكلام إنما هي علامات على معان ودلالات هي لب مراد المتكلم ،الدلالة وهذا يعني أن نشاط التقعيد للغة و إن أخذ في ظاهره مظهر التقنين الشكلي إلا أنه حديث عن البنيات المنطقية للكلام، التي ترتكز بدورها على خلفية الدلالة .
- ✓ المتتبع لكثير من أبواب النحو ومسائله يدرك بما لا يدع مجالا للشك ، أن المحرك هو الدلالة والغاية هي المعنى ، هذا قبل أن يتحول النحو إلى ما يشبه الجدل المنطقي أو الشكلي في عصور تالية لعصوره الذهبية الأولى .

ثانيا - الوجوه والنظائر:

- ✓ **الوجوه :** صرف اللفظ إلى وجوه مختلفة ومتعددة من المعاني، وهو ما يعرف بالمشترك اللفظي أو الأجناس كما يسميه أبو عبيدة ، وشمله قول سيبويه " اتفاق اللفظين و المعنى مختلف ، نحو : وجد (الموجدة أي الحزن، ووجد من وجدان الضالة .
- ✓ **النظائر**: الكلمات مختلفة الصورة ، المستعملة في التعبير عن المعنى الواحد (المترادف) أو ما عده سيبويه (اختلاف اللفظين والمعنى واحد) .

- وقد عني بهذا النوع من المسائل الدلالية علماء متقدمون في مجال دراسة القرآن وعلومه من أبرزهم : مقاتل بن سليمان البلخي (ت 150 هـ) في الأشباه والنظائرآنر في القرآن الكريم ، وهارون بن موسى الأزدي الأعور ت 170 هـ في كتابه الوجوه والنظائر في القرآن الكريم.
  كتاب ما اتفق لفظه و اختلف معناه من القرآن المجيد للمبرد (ت 285 هـ) .

ثالثا - العناية بالبحث في الجانب التطوري للألفاظ :

من أهم المباحث الدلالية لأنه يتعلق بالتتبع التاريخي لمادة من المواد اللغوية وكان ذلك بدءا بما وقع في العربية من ألفاظ الأمم الأخرى ، وكيفية دخولها و النظر في أصولها وما طرأ عليها من تغير وما خضعت له من تقلب ...وقد وقع في بعض المعاجم المتقدمة الشيء الكثير من الألفاظ غير العربية ، وقد خصصت لها أبواب كاملة ، كما في الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام ، مستندا إلى بعض ما أورده أبو عبيدة

و الأصمعي رادا اللفظ إلى أصله ولغته ودلالته ، وما يقابله في العربية ملتمسا له بعض الشواهد .ولعل أهم ما ألف في المعرب الواقع في اللغة العربية كتاب المعرب للجوالقي.

رابعا- مباحث الغريب : تتبع العلماء ما وقع في القرآن من كلمات لا تفهم دلالتها وأول من شق هذا السبيل بعد ابن عباس رضي الله عنه، أبو سعيد أبان بن تغلب بن رباح البكري (ت 141 هـ) ، مؤرج السدوسي (ت195 هـ)، والفراء (ت 207 هـ) ، و أبو عبيدة (ت 210 هـ) والأخفش (ت 211 هـ)، والزجاج (310 هـ)، وابن الأنباري (ت 328 هـ).

وكغيره من الاهتمامات ذات الصبغة الدلالية أخذ التصنيف في مجال الغريب شكل التوسع أي بالانطلاق من القرآن ثم الحديث ثم ما وقع منها في اللغة عموما ، وما كان من الغريب في الأشعار و الأسماء مثل (تفسير الغريب) لبزرج محمد العروضي وكان معاصرا للكسائي (ت 189 هـ)، و(غريب الحديث والكلام الوحشي) للأصمعي (ت 213 هـ) و(غريب الأسماء) لأبي زيد الأنصاري (ت 215 هـ).وتفسير الأمثال لابن الأعرابي (ت 231 هـ) ...

خامسا التأليف المعجمي : وهو ما يشير إشارة مباشرة إلى نظرية الحقول الدلالية لا بالمفهوم التقعيدي، إنما من المنظور العملي أو التطبيقي ضمن ما عرف عند العرب قديما في إطار التأليف المعجمي بالتصنيف الموضوعي أو معجمات المعاني التي تصنف الألفاظ التي يجمعها معنى عام في باب واحد بالنظر إلى دلالاتها المتقاربة ، إذ كان العالم اللغوي يتقصد موضوعا محددا ويجمع ما يمكن أن يدور في فلكه، ويرتبط به من ألفاظ وهي مرحلة شهدت ميلاد الرسائل.

وقد أخذ هذا النوع من التأليف المعجمي مظهرين :

- **التأليف في موضوع واحد**، وعادة ما تكون هذه الرسائل اللغوية المبنية على أساس من مفهوم الحقل الدلالي، صغيرة في حجمها، وقد تواصل هذا التوجه عند علماء القرن الثالث الهجري، نحو ما نلحظه في كتاب السلاح للنضر بن شميل ، و (النحلة)، (الإبل) ، (الخيل) ، (خلق الإنسان) لأبي عمرو الشيباني، و (الإنسان) ، و (الزرع) لأبي عبيدة، رسائل الأصمعي السبعة وهي : الإبل، والخيل، و الشاء والوحوش، والفرق ، وخلق الإنسان و النبات و الشجر .

- **التأليف وفق المنهج نفسه ، ولكن في أكثر من موضوع** ، بحيث يضمها مصنف واحد ، وقد برز بشكل جلي في القرن الثالث و ماتلاه مثل كتاب (الصفات) للنضر بن شميل ، و (الغريب المصنف) لأبي عبيد القاسم بن سلام، وكتاب (الألفاظ) لابن السكيت .

نظرية الحقول الدلالية في المهاد الغربي :

يستشعر البعد المنطقي والفلسفي لنظرية المجال التي أرجعها بعض اللسانيين إلى أرسطو ومن جاء بعده الذين رأوا في اللغة ضربا من التصنيف ، ونادى كثير منهم باستخدام التصنيف في الدراسة اللغوية ، وكما يقول بعض الباحثين " إن التصنيف ترتيب نسقي، وهو غاية العلم و سر تقدمه " .

لقد كانت هذه النظرية في العشرينيات من القرن العشرين تماما مع الاتجاه الذي كان سائدا في ذلك الوقت إذ تحولت الدراسة اللسانية من الاتجاه التاريخي إلى الاتجاه الوصفي على يد سوسير و الذي ذهب إلى أن اللغة نظام من العلامات و أن هذه العلامات تكتسب قيمتها من خلال علاقاتها بالعلامات الأخرى، تماما كقطعة الشطرنج (الفارس) فهي لا تعني شيئا خارج رقعة الشطرنج ، وإنما تستمد قيمتها من خلال علاقاتها بالقطع الأخرى .

لقد أوحت فكرة القيمة هذه بفكرة المجال الدلالي ، التي تعتبر بمثابة نظرية دلالية وصفية طبقا لتعاليم سوسير.

لقد أصبحت اللسانيات الحديثة طموحة بعد ظهور هذه النظرية لإعادة بناء نظام المعاني وذلك بعدما تلاقت البنيوية مع علم الدلالة، وشهد هذا اللقاء بناء مجموعات من الكلمات على أساس وجود خصائص معينة لهذه الكلمات ، كمحاولة طموحة لإعادة بناء المعجم ، خاصة بعد أن أعرب اللغويون المحدثون عن عدم رضاهم عن الطريقة الآلية في تبويب الكلمات بطريقة الألف باء، ورأوا تصنيفها على أساس المعاني .

استعمل مصطلح المجال الدلالي لأول مرة عام 1924 عند اللساني الألماني إبسن Ipsen الذي حاول أن يصنف مجموعة من الكلمات التي تشكل معا معنى موحدا ، وهي الكلمات التي تتصل بالأغنام وتربيتها في اللغات الهندوأوربية ، وإن كانت هذه الكلمات لا ينتمي بعضها إلى بعض اشتقاقيا و ليس لها علاقة ارتباط معينة و إنما كل ما في الأمر أنها كانت توجد جنبا إلى جنب مثل حجارة الفسيفساء .

وجاءت بعد إبسن عدة محاولات مثل بورسج Porsig 1934 وغيره، إلا أن أهم هذه المحاولات هي التي قام بها ترير Trier 1934 الذي ابتكر مصطلح الحقل اللغوي Semantic و نجح في استخراج دلالات الكلمات الألمانية ذات الدلالة الفكرية في العصور الوسطى من خلال دراساته للنصوص القديمة وقسمها إلى ثلاثة حقول (دينية وفنية ومعرفية) كما هاجم الطريقة التقليدية في التركيز على تاريخ الألفاظ المفردة، ودعا **إلى** وجوب دراسة الألفاظ في قطاعات كاملة ، وملاحظة ما تعكسه هذه القطاعات من تغيير وجهات النظر بالنسبة للجماعة اللغوية .

لذلك كلّما كان الحديث في اللسانيات عن الحقل الدلالي فإنَّ التفكير يتّجه نحو "ترير (TRIER) " ودراسته في سنوات الثلاثين من هذا القرن حول مفردات اللغة الألمانية للمعرفة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي.

وما هو مؤكّد أنَّ المصطلح لم يكن من إبداع "ترير"؛ لأنَّه كان يستعمل **الحقل المعجمي، الحقل اللساني للعلامات، الحقل المفهومي، الحقل، الدائرة المفهومية.**

وإذا كان الحقل بالمفهوم اللغوي العام يقصد به المساحة من الأرض المخصّصة للفلاحة، فإنَّه لا يعلم يقيناً من هو أوّل من وظّف لأوَّل مرَّة مصطلح الحقل الدلالي في اللسانيات، ولكن حسب دوشاك. O) (DUCHCEK، التشيكي فإنَّ "سطور (A STOR) "يكون من الأوائل الذين استعملوا المصطلح في كتابه الذي صدر سنة 1910.

وتبرز ملاحظة سوزان أوهمان (OHMANN SUZANNE) بشأن توظيف المصطلح أنَّ استعماله كان سنة 1874، على يد السويدي تيجنر (E. TEGNER)

ومهما كان التاريخ الدقيق الذي استعمل فيه المصطلح في معناه اللساني، فإنَّنا نلفيه في عشرات المؤلّفات قبل صدور كتاب "ترير (TRIER) "، الذي لا يعود إليه الفضل في إدخال المصطلح إلى الحقل اللساني، وإنّما يكمن فضله في المناظرات والدراسات العديدة التي أقامها، فاصبح الباحثون لا يتطرّقون إلى نظرية الحقول الدلالية دون الوقوف على أعماله بصورة دقيقة ومتأنية، إذ بدراسته التنظيمية لحقل الذكاء (الفكر) في اللغة الألمانية استطاع أن يبلور، ويجمع في انسجام الأفكار الموجودة في فترته بطريقة أسّست مدرسة أو تيّاراً أو منهجاً عرف بنظرية الحقول الدلالية.

ويمكن تلخيص فرضيته الأساسية في الآتي:

.إنَّ معجم لغة ما مكوّن من مجموع الكلمات المتدرّجة(أو حقول معجمية).

.وكلّ مجموعة من الكلمات تغطّي مجالاً محدّداً في مستوى المفاهيم (حقول مفهومية).

.وكلّ حقل من هذه الحقول (معجمية كانت أو مفهومية) مكوّنة من وحدات متقاربة مثل حجارات غير منتظمة من الفسيفساء..

ومعنى ذلك أنَّ كلَّ مدلولات اللغة تنتظم في حقول دلالية، وكلّ حقل دلالي مكوّن من عنصرين هما:

الأوَّل: تصوَّري.(champ conceptuel)

والثاني: معجمي.(Lexical)

وما يلاحظ هو أنَّ الدراسات اللغوية العربية الحديثة لم تعرّف المصطلح إلاَّ بعد اطلاعها على الدراسات اللغوية الغربية، بل يمكن القول إنَّ التعاريف المتناثرة في تلك الدراسات متماثلة ومتشابهة ومترجمة، على الرغم من أنَّ الدراسة العربية قد عرفت الحقول الدلالية تطبيقاً وإجراءً في أكثر من مصدر وعبر قرون متعاقبة (كما سبق ذكره) .

ويرى جون دوبوا (Jean Dubois) أنَّ تحديد الحقل في اللسانيات .حسب الافتراضات الإبيستيمولوجية .هو البحث عن استخراج بنية المجال أو اقتراح بنائه.

وعرّف أولمان الحقل الدلالي بأنَّه "**قطاع متكامل من المادة اللغوية يعبّرعن مجال معين من الخبرة**".

ويعرفه جون ليونز قائلاً: "**إنَّ الحقل الدلالي هو مجموعة جزئية لمفردات اللغة**"، ومؤدّاه أنَّ الحقل يتضمّن مجموعة كثيرة أو قليلة من الكلمات، تتعلّق بموضوع خاص وتعبّر عنه.

ويرى جورج مونان أنَّ الحقل الدلالي هو "**مجموعة من الوحدات المعجمية التي تشتمل على مفاهيم تندرج تحت مفهوم عام يحدّد الحقل**" أي إنّه مجموع الكلمات التي تترابط فيما بينها من حيث التقارب الدلالي، ويجمعها مفهوم عام تظلّ متصلة ومقترنة به، ولا تفهم إلاَّ في ضوئه.

والحقل الدلالي يتكوّن من مجموعة من المعاني أو الكلمات المتقاربة التي تتميّز بوجود عناصر أو ملامح دلالية مشتركة، وبذلك تكتسب الكلمة معناها في علاقاتها بالكلمات الأخرى، لأنَّ الكلمة لا معنى لها بمفردها، بل إنَّ معناها يتحدّد ببحثها مع أقرب الكلمات إليها في إطار مجموعة واحدة.

وهو ما عبّر عنه فندريس قائلاً: " **إنَّ الذهن يميل دائماً إلى جمع الكلمات، وإلى اكتشاف عرى جديدة تجمع بينها، فالكلمات تتثّبت دائماً بعائلة لغوية**"

وعلى هذا الأساس فإنَّ الكلمات لا تشكل وحدة مستقلّة، بل إنَّ بعض اللغويين يرفض وينكر أن يتمّ اكتساب اللغة في شكل كلمات مفردة، أو يكون المتكلّم واعياً بالكلمات منعزلة أثناء عملية الكلام. وإذا بدا له ذلك في بداية الأمر، فإنَّ الاكتساب يكون انطلاقاً من تركيب مقدّر أو مضمر أو محذوف تفهم

ضمنه الكلمة التي يتعلّمها الفرد.

وتتّضح الفكرة أكثر حين تعلّم لغة أجنبية، فمهما حفظ المرء من مفرداتها، فإنَّه يظل عاجزاً عن فهم نصوصها ومضمون خطاباتها، مالم يتزوّد بمعرفة نظامها التركيبي والنحوي والصوتي والصرفي والدلالي والأسلوبي.

ويستشف من قول فندريس أنَّ جمع الكلمات في مجموعات يعتبر من خصائص العقل الإنساني الذي من طبيعته الميل نحو التصنيف والبحث عن العلاقة التي تكوّن أجزاء هذه المجموعة أو تلك حتى يتسنّى لها فهمها ووضع قوانينها ثمّ الحكم عليها والاستنتاج.

ولهذا فإنّ الجزء المعجمي المعبّر عن مجال ما في اللغة ليس نظاماً أو تشكيلاً بسيطاً مكوّناً من وحدات مستقلة، فلو كان كذلك لتمكّن الدارس أو المستعمل للغة أن يفهم هذا الجزء ويصفه في وقت معيّن.

وبناءً على هذا الاعتبار اعتمد أصحاب نظرية الحقول الدلالية على الفكرة المنطقية التي ترى أنَّ المعاني لا توجد منعزلة الواحدة تلو الأخرى في الذهن، ولإدراكها لابدّ من ربط كلّ معنى منها بمعنى أو بمعان أخرى، فلفظ إنسان مثلاً يعدّ مطلقاً، وبالتالي لا يمكن أن نعقله إلاَّ بإضافته إلى حيوان، ولفظ رجل لا نعقله إلاَّ بإضافته إلى امرأة، ولفظ حار لا يفهم إلاَّ بمقارنته ببارد وهكذا.

والكلمات التي تعبّر عن التقديرات التي تمنح في جامعة من الجامعات والصادرة عن التقويم للامتحانات ومناقشة الرسائل الأكاديمية مثل: مشرّف جدّاً، مشرّف، ممتاز، جيّد جداً، جيّد، حسن، مستحسن، متوسط، مقبول، وضعيف، لا يمكن فهم الواحدة منها إلاَّ بالنظر إلى الكلمات التي فوقها أو في مستواها أو دونها، أي من خلال مجموعة الكلمات الأخرى التي تنتمي إليها

والهدف من ذلك هو جمع الكلمات التي يتركب منها الحقل الدلالي ثمّ استخراج العلاقات الرابطة بينها.

ويصدق ما سبق على الكلمات التي ترتبط دلالتها ضمن مفهوم الحيوانات الأليفة أو المتوحشة أو السكن، أو الألوان أو القرابة أو أي جزء من المادة اللغوية الذي يعبّر عن مجال معيّن من الخبرة والاختصاص ، فكلمة "طاولة"التي تعدّ مصطلحاً عامّاً نجد تحتها مجموعة من الكلمات التي لها علاقة فيما بينها كطاولة العمل، طاولة القاعة، طاولة الأكل، طاولة اللوغاريتم، طاولة القانون..

فكل لغة تضمّ سلسلة أو نسقاً من الكلمات تتّضح اختلافاتها وعلاقاتها بمعرفة خصائصها الدلالية وملامحها المشتركة، ففي الظواهر المرئية مثلاً يلاحظ أنَّ الأطفال يتعلمّون الألوان الأساسية.على الأرجح .في ردح من الزمن مثل: أحمر، أخضر، أزرق، أصفر، أبيض، وأسود.

ومن المؤكّد أنَّه لا يتم إدراك دلالة الأحمر ككلمة تدلّ على اللون .وبخاصة بعد استعمالها في الجمل . إلاَّ بمعرفة الكلمات التي تشير إلى الألوان المماثلة لها أو التي تقاربها في المعنى مثل: وردي .بنفسجي .

برتقالي .وكلمات أخرى تحتوي على هذا المعنى مثل أحمر أرجواني .قرميدي وغيرهما.

ويرى "ليونز(Lyons) "، أنّنا نفهم معنى الكلمة بالنظر إلى محصّلة علاقاتها بالكلمات الأخرى، داخل الحقل المعجمي، ومن ثمّ يهدف تحليل الحقول الدلالية إلى جمع كلّ الكلمات التي تخصّ حقلاً معينّاً، والكشف عن صلة الواحدة منها بالأخرى، وصلتها بالمفهوم العام، وعلى هذا الأساس يكون فهم معنى الكلمة بفهم مجموعة الكلمات ذات الصلة بها دلالياً.

وأقيمت دراسات عديدة حول الحقول الدلالية من أهمّها: ألفاظ القرابة، والألوان، والنبات، والأمراض، والأدوية، والطبخ، والأوعية، وألفاظ الأصوات، وألفاظ الحركة، وقطع الأثاث.

وكذلك الخواص الفكرية، والأيديولوجيات، والجماليات والمثل، والدين، والإقطاع، ومؤيّدي البلاط، والخارجين عليه، والأساطير، والخرافات، والتجارة، والعداوة، والهجوم، والاستقرار، والإقامة، والحيوانات الأليفة، وصفات العمر، وأعضاء البدن، وغيرها.

ويمكن القول إنَّ أصحاب نظرية الحقول الدلالية يهتّمون ببيان أنواع العلاقات الدلالية داخل كل حقل من الحقول المدروسة، فيحصرون تلك العلاقة في الأنواع الآتية: **الترادف، الاشتمال، علاقة الجزء بالكل، التضاد، التنافر، وليس من الضروري أن يكون كلَّ حقل مشتملاً عليها جميعاً، لأنَّه قد تضمّ بعض الحقول كثيراً منها، على حين تقلّ بعض منها في حقول أخرى.**

وتأسّست نظرية الحقول الدلالية على فكرة المفاهيم العامة التي تؤلّف بين مفردات لغة ما، بشكل منتظم يساير المعرفة والخبرة البشرية المحدّدة للصلة الدلالية، أو الارتباط الدلالي بين الكلمات في لغة معينة ، التي يجمعها لفظ عام، لأنَّ اللغة نظام، وقيمة كلّ عنصر من عناصرها لا يتعلّق بهذا النظام بسبب طبيعته، أو شكله الخاص, بل يتحدّد بمكانه وعلاقته داخل هذا النظام، ممّا يؤكّد التراصّ القائم بين الكلمات وما يجاورها من كلمات أخرى داخل الحقل الواحد، أو في مجموعة من الحقول، بحيث لو أقحمت كلمة في حقل متناسق أو أبعدت عنه أو غيّر موضعها أدّى ذلك إلى اضطراب يؤثر في مجموع مفردات الحقل.

وأهمّ مبادئ نظرية الحقول الدلالية تتلخّص فيما يأتي:

1. إنَّ الوحدة المعجمية تنتمي إلى حقل واحد معيّن.
2. كل الوحدات تنتمي إلى حقول تخصّها.
3. لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الوحدة اللغوية.
4. مراعاة التركيب النحوي في دراسة مفردات الحقل .

المراجع :

- **نواري سعودي أبوزيد الدليل النظري في علم الدلالة**
- **أحمد عزوز، "أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية"،**
- **كريم زكي حسام الدين التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه**
- **عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية**
- **أحمد مختار عمر، علم الدلالة**
- **أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات**